

الاسبوع الثاني عشر

ألمانيا و الامبراطورية الرومانية المقدسة

كان من نتائج معاهدة فردان ٨٤٣ م إن حضي لويس الألماني (٨٤٣ _ ٨٧٦) م بعرش ألمانيا وعلى الرغم من علاقة الاخوه القائمة بين لويس وشارل الأصلع الذي نصب ملكا على فرنسا إلا أن حاله العدى بينهما بلغت حدا خطيرا إذ لم يتورع الطرفان من استغلال التدخل النورماندي أو التمردات التي كان يعلنها الأمراء الإقطاعيون في كلا المملكتين . ولعل الأبرز في كل هذا إن لويس شن هجوما على فرنسا عام ٨٥٨ م . فيما هجم شارل الأصلع على ألمانيا عام ٨٧٦ م . وهكذا كان الصراع على النفوذ محتدما وعاتيا إلى درجه كبيره.

انفرد الملك شارل السمين بحكم ألمانيا بعد وفاة أخويه وصادف إن وصل إلى العرش الفرنسي شارل البسيط الذي كان طفلا في الرابعة من عمره عام ٨٨٤ م . وعليه قام السمين باستثمار الفرصة ليعلن خضوع فرنسا وايطاليا إلى حكمه . لكن اتساع رقعه الملك واستمرار الهجمات النورمانديه على المملكة زادت من الأعباء والمسؤوليات عليه وأوقعته في العديد من الأخطاء لتبرز حالة السخط التي تمثلت في ثورة ابن أخيه كارلومان المدعو ارنولف الذي أعلن نفسه ملكا على ألمانيا (٨٨٨ _ ٨٩٩)م.

تمكن ارنولف من تحقيق العديد من الانتصارات العسكرية الكبيرة كان الأبرز منها زحفهم للقوات النورماندية عام ٨٩١ م هذا بالاضافه إلى صده للهجوم الذي قامت به قبائل التشيك والمورافي على الجهة الشرقية من ألمانيا.

وبهذا حضي بمكانة رفيعة داخل ألمانيا وخارجها حتى انه تدخل كوسيط في الصراع الذي دار حول العرش الفرنسي بين اودو وشارل البسيط والذي حسم لصالح البسيط عندما توفي الأول عام ٩٩٨ م . أما الفائدة الكبرى الذي جناها لصالح نفوذه فقد تمثلت في الدعوى التي وجهها إليه البابا فورموز عام ٨٩٤ م . حيث تمكن من تلبيتها بعد عام واحد ليدخل روما ويعزز مكانة البابا الذي كافئه بالمقابل بأن خلع عليه لقب إمبراطور ألمانيا وايطاليا عام ٨٩٥ م. إلا إن هذا اللقب لم يعمر معه طويلا إذ واجهه معارضة شديدة من قبل أصحاب النفوذ والأمراء في ايطاليا .

مثلت مرحله حكم الملك لويس الطفل (٨٩٩ _ ٩١١)م ضعفا واضحا في المملكة بحكم إن الملك كان طفلا لم يتجاوز عمرة الستة سنوات وبهذا تدخل الأمراء الإقطاعيون في شؤون الحكم

والاهم في كل هذا إن الصراع بين الإقطاعيين بلغ أشده حيث تمثل بالصدامات الداخلية . في ضل هذه الأوضاع بدا الانغار هجومه الكاسح على ألمانيا عام ٩٠٦ م . حيث اشتاحوا مقاطعات بافاريا ، فرانكونيا ، ساكسونيا ، سوابيا . وعلى الرغم من اتحاد الأمراء الإقطاعيين لمواجهه الخطر الهنغاري إلى إن محاولتهم هذه باءت بالفشل.

تعرضت ألمانيا لازمة وراثه التاج الملكي خصوصا وان لويس الطفل عندما مات لم يخلف وريثا . وبهذا اجتمع الأمراء الألمان لانتخاب دوق فرانكونيا (كونراد الأول) ٩١١_٩١٨ م . لكنه تعرض لنكسات متوالية كان الأبرز منها فشلة في أعاده مقاطعته لوثرنجيا إلى النفوذ الألماني وحالة التنافس التي ظهرت من قبل الأمراء الآخرين الذين لن يتعاملوا معه كملك بل وكأنه أمير إقطاعي لا يختلف عنه في شيء بل أنهم أصحاب الفضل عليه في وصوله إلى السدة الملكية هذا بالإضافة إلى فشلة الذريع في صد الهجوم الهنغاري على بلاده .

في ضل الأوضاع المزرية التي عانت منها ألمانيا خصوصا بعد وفاة الملك كونراد الأول عام ٩١٨ م . لم يجد مجلس الكونتات بديلا عن المنادة بدوق ساكسونيا (هنري الصياد) ٩١٩_٩٣٦ م ملكا على البلاد .

وهكذا ابتداء الملك الجديد عهدة بكل حزم وقوه مبتدأ بإنهاء نفوذ الأمراء الإقطاعيين حين أمرهم بتقديم يمين الولاء إلية مباشرة إما على صعيد علاقته بالكنيسة فقد رفض التتويج على يد كبير الاساقفه بل انه حرص على جعل رجال الدين تابعيين بسلطانة من خلال تجريده إياهم بجميع الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها وهكذا بدء عهد جديد يستند إلى سلطات ملك ذو شخصية قوية وحازمه . وإذا ما كان (هنري الصياد) قد ظهر عليه الضعف في مواجهه الخطر الهنغاري حين تمت مهاجمة مقاطعات بافاريا ، سوابيا ، ساكسونيا . فان الأمر لم يكن ليخرج عن تكتيك حاذق استند إليه في المواجهة خصوصا وانه هدف إلى ترصين الأوضاع الداخلية وإعداد الجيش بشكل جيد والعناية ببناء الحاميات الدفاعية على الحدود . وبالفعل أثمر كل هذا عن انتصار ساحق حققه على الهنغاريين إذ عمد إلى مهاجمتهم في عقر دارهم عام ٩٣٣ م . وكان لهذا الانتصار الساحق أثره النفسي في دعم الجيش الألماني الذي تمكن من الانتصار على النورمنديين والدنماركيين عام ٩٣٤ م.

ورث الملك اوتو الكبير من (٩٣٦_٩٧٣) دولة مستقره ثابتة الاراده شديدة القوه سهلت عليه تنفيذ اهدافه في توطيد اواصر حكمة وتثبيت قواعده . ولعل الاختلاف الذي يمكن أن يرصد في سياسته عن أبيه الملك الراحل كان قد تمثل في التحالف الذي عقد اواصره مع الكنيسة إذ اعتمد على رجال الدين في تدبير شؤون حكمة بشكل كبير .

لقد جعل اوتو الكبير من رجال الدين اداتة الضاربة في تحقيق اهدافه السياسية إذ جعل منه أداة للموازنة في وجه إطماع الأمراء الإقطاعيين بالاعتماد على الشرعية الدينية وان من يعارض الملك سيكون خارج على الكنيسة . من جانب آخر استفاد رجال الدين في مجال التبشير الديني لاسيما عند الأقوام التي تشكل تهديدا وخطرا على النفوذ الألماني مثل الهنغار والسلاف والدنمركيين وهكذا صارت هذه الأقوام إذ لم ترتبط بألمانيا لأسباب سياسية فان الرابطة الجديدة القائمة على الدين الواحد خير وسيلة لإخضاعها.

إن الثمار التي جناها الملك اوتو جراء توطيد علاقته بالكنيسة جعلته يغدق على رجال الدين بكل الامتيازات والمنح والهبات والهدايا . وإزاء الإغراءات الواسعة التي لم تنقطع صار رجال الدين يبحثون عن الوسائل التي تقربهم من الملك في سبيل الحصول على المكاسب الثمينة. وفقد وزع عليهم المقاطعات الكبيرة حتى جعل منهم أمراء إقطاعيين لهم جميع حقوق امتيازات الإقطاعيين الآخرين من سك العملة وفرض الضرائب والسلطات الإدارية لكنه من جانب آخر جعله تحت سلطانه من خلال التأكيد على إن المنصب الديني صار من حق الملك فهو صاحب الحق الأوحد في العزل أو التعيين .

كان للخطوة والمكانة الرفيعة التي حصل عليها رجال الدين في عهد اوتو قد جعلت العديد من أمراء البيت الساكسوني يتطلعون للحصول على إحدى المناصب الدينية وهكذا حصل ابن اوتو المدعو غليوم على منصب أسقف كولونيا لقد مثل الاستقرار الداخلي عاملا مهما في اندفاع اوتو نحو توسيع حدود مملكته . إذ أقدم عام ٩٥٠ م . إلى مهاجمة التشيك في بوهيميا وأجبرهم على الخضوع للسيادة الألمانية . وبعد انتصاره على القبائل الهنغارية عام ٩٥٥ م إنشاء اوتو مقاطعه النمسا على الأراضي الهنغارية جاعلا منها ضمن النفوذ الألماني ولعل العمل الأهم الذي فكر فيه الملك كان قد تمثل في السيطرة على ايطاليا من اجل تأسيس إمبراطوريته الخاصة .